

الحياة في اللغة العربية

أرابيسك

الأستاذ إلياس قنصل ، لأرمينية

شكلية خلقتها اضافة زوائد على الكلمة او تغيير آخرها .

وهذا التحوير يكبر الكلمة في « العين » نقط .
وما هكذا اللغة العربية .
ان اللغة العربية حين تود ان تضع الكلمة في
قالب المبالغة تعمد الى « الحياة البشرية » معتبرة
منها ما يبيث في الكلمة روح هذه الحياة .
واترك الموضوع تليلا على ان اهود اليه بعد
سطور .

ان الرجل الذي يتم بميزات الرجل لا يستطيع
ان ينال من تحديتك اليه ما ينال الرجل الذي شامت
الطبيعة ان تضع فيه بعض ميزات المرأة .
انك تمر بالرجل « العادي » فلما تحفل به .

ولتكن اذا مررت برجل تدبرز نهاده — مثلا —
 فلا يسعك الا التفكير به تليلا او كثيرا لان بروز النعدين
من خصائص المرأة لا من خصائص الرجل .

وما تقوله عن الرجل تقوله عن المرأة .
ولا نعبأ بشعورك ازاء هذا التجاوز او ذلك على
الحدود المرسومة لاحد الجنسين : ما تشير اليه هو ان
هذا التجاوز يلتفت نظرك .

وقد ادركك اللغة العربية هذه الظاهرة فطبقتها
على صيغة المبالغة .

- 1 -

تحتفل اللغة العربية عن غيرها من اللغات بأن
« الحياة » التي فيها حياة خلقة مبدعة ذات عصرية
خامسة . وفي الوقت الذي نجد بقية اللغات ادوات
للتعبير متى بلغتها ن tud بلغت غايتها القصوى وانتهت
بهمتها نجد ان الفساد لا تكتفي بهذه الغاية بل هي ت يريد
ان يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد مدتها الى اكثر
من ذلك ليتحول الى نكارة مستمرة للجمال والذوق
والذكاء ، نكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها
كالطائفة الذرية سواء بسواء .

ولو احبينا ان نضع للامر مثلا بسيطا يقربه الى
الادهان لاستطعنا القول ان بقية اللغات كالساميات
العادية تضيّط لك الوقت اقرب ما يكون الى الدقة ،
اما اللغة العربية فكالساعة الذهبية التي لا يمكن الا
ان تكون مثال الدقة في ضبط الوقت لأن معدنها يحمل
ساندها على مراعاة تفاصيلها وتوفير الانسجام بين آلاتها
الداخلية وغلانها الشمرين — دفعه واحدة — آلة
لمعرفة الوقت بالدقة المتناهية واداة للزينة تلخصت
الانتظار ورصيد مادي يحتفظ بتفاصيله الابراهية .

ويأتيك البرهان في صيغة من صيغها الجديدة :
« المبالغة » في ابسط صورها هي تضخيم الشيء
بحيث يتوجه اليه الانتباه وقد حللت اللغات الاخرى هذه
المشكلة — اذا جاز لنا أن نسميها مشكلة — بطريقة

وليذرنا الجسان - اللطيف والخشن - مما
اردنا الا تزبيب العصبة الى الاذهان .

ان لفتنا تمثاز كما اشرنا بهذه الفعفة من الحياة
التي تعل من تراكيبيها وصيغها ومشتقاتها ومن كلماتها
ايضا . وهذا سر من اسرار عظمتها وعبورتها .

لقد حاربها الطغاة في مختلف مهددهم وحاولوا
ان يتضروا عليها .

ثم .. ذهب الطغاة وظلت لغة الفساد تزود
القومية العربية بالقوة والجمال والخلود .

- 2 -

الحياة في اللغة العربية حياة خلقة بيدعة ذات
عيقورية خاصة - كما اشرنا سابقا - وهي لا تكتفى
بسمايرة التطورات المستحدثة - كما تفعل بقية اللغات
- بل يجد الباحث فيها « حركة بشرية » في تعاملها .
نكانها كائن هي يذهب ويجيء وتتجوّج فيه المواتيف
والاحساس .

ومن ابرز الميزات في اللغة العربية ان كلماتها تنعم
بهذه الحياة وبهذه الحركة التي تصف في الوقت الذي
نجد الكلمات فيسائر اللغات ادوات جامدة لا يدب
فيها شيء من الحياة الا بعد ان تجتمع طائفة منها الى
بعضها وتلتف عبارا .

كانت نتنة من المبحرين في علم اللغة ان الكلمات
العربية ذات اصول ثابتة تتربع منها المعاني المتقاربة
- مثلا النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف
معاني البروز والنبو - فما نظر الى مراعي هذا الجذر :

نبت = برب من الارض .
نبط = اخرج ماء البشر
نبع = خرج من العين
نبغ = خرج وظهر
نبق = خرج وظهر
نبك = ارتفع

الى آخر ما هنالك من الكلمات التي تتشابه في
الاصل .

هذا ما كتبه فريق من العلماء وقد ادخلوا كثيرا
من الاصول ادلة واسحة صريحة .

ماذا شامت ان تصف رجلا كثیر الرحلات قالت
منه انه « رحالة » .

انها تقدمه لك وقد لحقت به الناه التي كان من
حتها ان تلحق بالكلمة المؤئنة . فملأ ذلك لتلت نظرك
الى صلة المبالغة نيه .

واما وصفت لك رجلا واسع العلم قالت منه انه
علامة .

وهكذا .

ان اللغة العربية في عبقريتها لا تكتفى بالطريقة
الشكالية باضافة الناه الى الكلمة بل تعمد كذلك الى
المعنى فتغير صفة وتملا « عينيك وخاطرك » في نفس
الوقت .

ان خصائص التأنيث في الكلمة هي الوجه الآخر
الذي يضع امام « النكر » صورة مادقة من المبالغة في
حين ان اضافة الغرف - الناه - وتشديد معن الكلمة
هي الوجه الاول الذي يضع امام « العين » الصورة
المطلوبة .

وانت تنتقل بالبالغة من « العين » الى « النكر »
ليتم التصور من التحويير لشططع ان لم اوسع الامام
بالبالغة المتواخة من التغيير .

وما ينطبق على الكلمات المذكره ينطبق على
الكلمات المؤئنة ولكن بوسيلة مكيبة .

ان صيغة المبالغة في الاولى هي الحق علامه
التأنيث بها .

من الطبيعي والمنطقي ان تكون المبالغة في
الكلمات المؤئنة حذف علامات التأنيث منها .

واما بالمرأة التي تصور نفسها امراة « مصون »
- لا امراة مصونة - . واما الحرب التي لا تبقى ولا
تلتحم الحرب الفروس - لا الحرب الفروسة - .

ان هذا التغيير او هذا القلب يجعل عينيك
تلتحن الى ما اريد من المبالغة ، ويجعل هلقلك يمثل
بالصورة التي وضعت لها .

ان ناه علامه ورحالة وما اليهما هي بروز التهدين
في الرجل .

وان هذه ناه تاء التأنيث من مصونة وضرورة وما
اليهما هي اللحية في ذقن المرأة .

ان اللنظتين تتقاربان في الاداء بحيث يمكنك ان
تبث الثانية مناب الاولى - هذا اذا كنت كما اشرنا
ترى من الصعب التلفظ بالقاف .

وهذا التساهل من طبع اللغة العربية ولا
يسري على كلمة مرددة بل على كلمات كبيرة .

وليس من مدل الصدف ان تكون لفظة « ركبك »
تربيبة جدا من لفظة « رطبق » .

وليس من عمل الصدف ان تكون كلمة « تط »
مرادفة لكلمة « قد » و « تـت » .

وليس من مدل الصدف ان تكون « لفلاس » و
« لفلاظ » بمعنى واحد تربيبا .

وادا لم تتشاء ان تقنع بهذا التساهل الغريب بين
جميع لغات العالم احتناك الى الدليل الذي ما بعده
دليل على ان التساهل هو من طبع هذه اللغة .

لقد نوّعت اللغة الحركات على كثير من الكلمات
حتى اذا لفظتها - على غير يتنين من شكلها - لم تكن
فيها على خطأ .

البصل البري اسمه العنصل (بضم الصاد)
والعنصل (بفتح الصاد) والمنصله (بضم الصاد)
والمنصله (بفتح الصاد) .

والاربعاء الفظها كما يعن على بالك بضم الباء
او فتحها او كسرها .

وهذا التنويع والتشكيل في المصدر :

خاص غومسا وفياما وفياما ويفاما

انريد ارجح من هذا الميدان ؟

انريد اكرم من هذا الكرم ؟

لا ، لا

اننا نحن الذين لم نعرف قيمة هذه اللغة الغريبة
من نوعها .

اننا نحن الذين لم نجل حتى الان الا القليل القليل
من اسرارها .

اننا نحن الذين لم ندرك ما في كلماتها وحروفها من
حياة وما في تراكيبيها من منطق وشuron .

واجتهادنا الوضيع في هذا الصدد ان اللغة العربية
في مبوريتها لم تكت ب لهذا « المنطق » الذي هو في حد
ذاته قاعدة بل مهدت الى ابعد من ذلك . وما هي ظاهرة
جديدة من ظواهر حياتها وحركتها حتى في الكلمات :

ان اللغة العربية « تساهل » اسمى ما يكون
التساهل حيال من يتكلمتها كما يفعل الرجل الكريم الشهير
ازاء صاحبه تماما .

خذ مثلا كلمة غضروف :

ان اجتماع الغين والصاد يتقل احيانا على
اللفظ وتناسق الحركات في الكلمة يجعلها سريعة
الاتصال عن اخواتها في العبارة - وفي السرعة
الزلل .

فيماذا تفعل اللغة العربية لتتفاوت هذا الامر ؟
انها تساهل معك وتقول :

اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة « غضروف » فاللهم
كلمة « فرضوف » ثاناتها هي نفسها .

وهكذا ترك لك اللغة المجال واسعا حتى اذا
استثنلت اجتماع الغين والصاد ومضمت بينهما الراء او
اذا انسابت الكلمة من نمك سريعة الاتصال عن مكانها
في العبارة امنت الزلل الذي يمكن ان تقع فيه من تناسق
الحركات في الكلمة .

ان اللغة العربية لا تتعنت الى الدرجة التي تشعر
بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى اذا انت من
« نبالة عواظتها » ومن « شهامة اخلاقها » اسيء لا
نکاد تملك من امرك شيئا .

وهكذا مثلا ثانيا :

« القاف » حرف حلتي يصعب لفظه على البعض
ولا بد من لفظه على من يتكلم الصاد . ولكن اللغة
العربية لا تترد بل تسهل كعادتها وتقدم لك برهانا
جديدا على « ملبي عنصرها » .

اذا لم يكن من البين عليك ان تقول :

دق : ومنها كسر .

ملا باس قل :

دك : ومنها هدم .